

دور جرس اللفظة القرآنية في التناسق الفني في آيات البعث والحشر في القرآن الكريم



أ/قيطون قويدر
جامعة الوادي

ملخص:

من المعلوم أن من أهم عناصر بناء الأسلوب في الخطاب القرآني الإيقاع الموسيقي الذي يسهم بشكل كبير في التناسق الفني في القرآن الكريم، كما أن المضردة القرآنية بما تحمله من قدرات لإيقاعية الناتجة عن جرسها المتفرد تشكل أحد أهم عناصر ومواد الإيقاع في القرآن، مما يضيف على النص القرآني انسجاما متكاملًا يحقق مقتضى الحال.

ولقد كان للمضردة القرآنية بضعل شحناتها الإيقاعية الدور البارز في إضفاء الجمال الفني، والتناسق البديع في آيات البعث والحشر، والتي كان لها موضوع متميز وخصائص متفردة. هذا ما سيجاول هذا المقال الوصول إليه وتبيينه.

Résumé

Il est évident que l'un des plus importants éléments qui construisent le discours coranique est l'harmonie musicale qui contribue énormément à la conformité dans le Coran.

Le mot coranique aussi avec ce qu'il comprend de compétences musicales résultant de sa sonorité distinguée compétences qui constituent l'un des plus importants constituants ainsi que les matras de l'harmonie du coran donnant une conformité complète ce qui réalise le contexte de situation.

Le mot coranique avait le rôle primordial à cause de leur courants musicaux donc il donne la lésthétique artistique ainsi que la conformité superbe dans les versets de réurrection qui caractérisent par des sujets distingués dans ce contexte notre article essaiera de mettre le point sur l'ambiguïté de ce problème.

ورد في لسان العرب تحت مادة (نسق) ما يأتي :

نسق الشيء نسقه نسقًا ، نظمه على السواء ، والنسق من الشيء : ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء ، وقد نسقه تنسيقًا ، ونغر نسق ، إذا كانت الأسنان مستوية ، ونسق الأسنان ، انتظامها في النبتة وحسن تركيبها¹.

والتناسق في التعبير هو : أن يهيب الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمح لها بأن تشع شحنتها من الصور والظلال ، والإيقاع ، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه ، وألا يقف بعدها عند الدلالات المعنوية الذهنية ، وألا يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده .²

والتناسق في الأسلوب هو : أن يتم تنظيم العبارات فيه على الأساس السابق ذكره ، بحيث يكون متلائما على طريقة واحدة ونظام واحد ، متناسق النظم ، متناسب الفقرات ، حسن الإيقاع.³

والتناسق في البيان القرآني ، أو التناسب كما هو معروف عند القدماء ، موضوع دقيق ، وجليل في الوقت نفسه ؛ أما أنه دقيق فلأنه يبحث ويتناول وجها لطيفا من أوجه بلاغة القرآن ، وأما أنه جليل فلأنه متشعب متنوع تستلزم دراسته معرفة واسعة باللغة العربية ، وخصائصها المعجمية والصرفية والصوتية والتركييبية ، وهذه معرفة تتطلب إحاطة شاملة بعلوم اللغة ، وفقهها ، ولقد اهتم دارسوا الإعجاز قديما بهذا اللون البياني والذي كما قلت كان معروفا عندهم بالتناسب ، كأبي الحسن الرماني الذي عقد في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) ثلاثة أبواب تتصل كلها بهذا الوجه من التناسب وهي : <باب التلاؤم> و <باب الفواصل> و <باب التجانس>⁴ ، ومنهم الباقلائي والجرجاني ، ومن المحدثين نجد الراجعي الذي خصص جزءا من كتابه " تاريخ آداب العرب " لموضوع القرآن وإعجازه ، عنى فيه بإبراز القيمة الجمالية لتركييب الأصوات وتلاؤمها وتناسب الألفاظ وحسن انتلافها ، لكن اهتمام الراجعي « انصرف إلى الجانب الصوتي ، واللفظي في القرآن الكريم ، وإلى النظم الموسيقي في لغته ، وكان يؤمن بأن حروف القرآن مرتبة باعتبار من أصواتها ، ومخارجها ، وتناسبها في الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والتخفيف والترقيق ، والتفشي والتكرير ، ولذلك اجتهد في تحليل التركييب الصوتي مستعينا بذوقه الفني ، وشاعريته المرهفة على إبراز موطن الجمال الموسيقي في ذلك التركييب»⁵.

ومن أكثر الدارسين للتناسق الفني في القرآن الكريم سيد قطب ، حيث عد التناسق الفني السمته الثالثة من سمات التصوير الفني في القرآن ، وعقد له فصلا مطولا في كتابه "التصوير الفني" وقد بدأ بذكر ألوان التناسق في القرآن الكريم التي توصل إليها الباحثون السابقون له وهي⁶ :

1- ذلك التنسيق في تأليف العبارات بتخيّر الألفاظ ، ثم نظمها في نسق خاص .

2- الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نظام خاص .

- ³⁻ تلك النكت البلاغية التي تنبّه إليها الكثيرون كالتعقيبات المتفكّمة مع السياق كأن تجيء الفاصلة: «وهو على كل شيء قدير» بعد كلام يثبت القدرة.
- ⁴⁻ ومنها ذلك التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض.
- ⁵⁻ التناسق النفسي بين الخطوات المتدرّجة في بعض النصوص والخطوات النفسية التي تصاحبها.
- ثم ارتقى سيد قطب إلى مستويات أخرى ليفتح آفاقاً جديدة من التناسق يمكن إجمالها فيما يأتي⁷:
- 1- هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية..
- ²⁻ قد يستقل لفظ واحد -لا عبارة كاملة- يرسم صورة شاخصاً لا لمجرد المساعدة على إكمال الصورة.
- ³⁻ المقابلات الدقيقة بين الصورة التي ترسمها التعبيرات.
- ⁴⁻ التناسق الإيقاعي (في القرآن إيقاع موسيقي متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان).
- ⁵⁻ التناسق في تركيب الصورة، فالقرآن يراعي حيث يرسم صوراً أو يعرض مشاهد أدق مظاهر التناسق الفني في تركيب الصور وتوزيع أجزائها، واختيار ألوانها.
- ⁶⁻ التناسق في عرض المشاهد والصور، فبعض المشاهد والصور القرآنية يمر سريعاً خاطفاً، وبعضها يطول وكل ذلك تحقيقاً لغرض خاص في الصورة يتسق مع الغرض العام ويتم به التناسق في الإخراج.
- ⁷⁻ التناسق بين الصورة وبين إطارها.
- ويمكننا بعد هذا كله أن نقول أن التناسق الفني في الكلام هو الصيغة التي تتوافر فيها وحدة من الانسجام، في صورة جميلة أخاذة، تسترعي الانتباه، وتريح الحواس، وتتماشى والذوق الرفيع، بحيث لا خلل ولا فوضى، بل تراص والتحام في فن بديع.
- والتناسق الفني في القرآن نابع من طبيعة اللغة العربية، وفطرة عقليّة العرب البيانية، فإن العربي كان ينطق وكأنه نبع فياض، لا تكلف ولا إجهاد في الفكر والعقل، بالسلامة في سبك متين، وانسجام وتناسق في الأجزاء، على غاية من الإبداع، وبساطة الفطرة ونقاوتها⁸.
- هذه الروح هي التي تسود القرآن، لكنها بشكل أرقى وأبدع مما يجعل التناسق في القرآن يبلغ الإعجاز في ألوانه ودرجاته وآفاقه: «فمن نظر فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى

موسيقى منعمّة ، إلى اتساق في الأجزاء ، إلى تناسق في الإطار ، إلى توافق في الموسيقى ، إلى تفنن في الإخراج ... وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز»⁹.

فالإيقاع القرآني صورة للتناسق الفني ، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه ، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى فيه أسلوبه المتميز ، فالقرآن الكريم يحوي إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع ليؤدي وظائف جمالية متعددة إذ « إن الأثر الممتع للإيقاع ثلاثي : عقلي وجمالي ، ونفسي ، أما العقلي فلتنكيده المستمر أن هناك نظاما ودقة وهدفا في العمل ، وأما الجمالي فإنه يخلق جواً من حالة التأمل الخيالي الذي يضيف نوعاً من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية على الموضوع كله ، وأما النفسي فإن حياتنا إيقاعية : المشي النوم والشهيق والزفير وانقباض القلب وانبساطه»¹⁰ .

يشارك في هذا الأداء تناسق تلك النسب التي تصحب الألفاظ مثل نسب صفات . الحروف وجرسها والحركات وجرس الألفاظ وظلها بحيث تكون نسباً منتظمة تخلق ذلك الجو البديع من الانسجام ، فأوازن الكلمات وأجراس الحروف هذا هو الذي أحدث الصدمة النفسية - على حد تعبير الرافي - لأولئك النضر الذين سعوا القرآن أول مرة وراحوا يتخبطون في وصفه : « فلما قرىء عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جملة ألقاناً لغوية رائعة ، كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها فلم يفتمهم هذا المعنى وأن أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم ، حتى إن من عارضه كمسيلمت جرح في خرافاته إلى حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه ، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ، كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية ، وإنما هي في أوزان الكلمات ، وأجراس الحروف دون ما عداها .»¹¹

ومن أهم العناصر التي تسهم في التناسق الفني في القرآن الكريم عموماً وفي آيات البعث والحشر خصوصاً ، جرس اللفظة .

ورد في لسان العرب¹² عن الجرس ما يأتي :

جرست الماشية الشجر والعشب ، تجرسه وتجرسه جرساً : لحسته ، وكذلك النحل : إذا أكلت الشجر للتعسيل ، وقيل الجرس : الصوت الخفي ، ابن سيده : الجرس والجرس : الحركة والصوت من كل ذي صوت ، ويقال : جرس الطائر وأجرس : صوت ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت مناقيرها على شيء تأكله .

وجرست وتجرس : أي تكلمت وتنعمت به ، وفلان مجرس لفلان : يأنس لكلامه وينشرح بالكلام عنده .

من خلال هذه الاستعمالات المتعددة لكلمة (جرس) يبدو أن لها مفهوماً مضاداً للصوت الخفيف أو القوي ، وقد تعني مع الصوت الحركة كما ذهب إلى ذلك ابن سيده .

فجرس الحروف : صوتها المنغم ، وهي تختلف في صفاتها على حسب مخرجها ، وجرسها ، ونغمة صوتها عند ما ينطق بها ولذلك قيل : حروف الهمس ، وحروف الاستئال ، وحروف الذلاقت ، وحروف الصفير...وهكذا .

وجرس الكلمات : هو نغمتها وصوتها وإيقاعها ، الذي يحصل نتيجة تلاؤم بين حروفها وانتلاف هذه الحروف ، وتوافق أصواتها ، وحلاوة جرسها .

وجرس العبارات : هو الإيقاع الصوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها ، وتوافق أصواتها وحلاوة جرسها كذلك ، فالجرس يكن في الحروف والكلمات والعبارات وهو نوع من أنواع الموسيقى للعبارات.¹³

ولقد رأينا أنّ من أوجه التناسق الفني ذلك الإيقاع الموسيقي أو النغم الصوتي الناشئ من تخير الألفاظ ، ونظمها في نسق خاص ليتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى وتعدد الوظائف التي تؤديها في كل سياق ، وقد يستقل لفظ واحد ليرسم الصورة بجرسه الذي يلقيه في الأذان الناتج عن تخير حروفه ، وبنائها ليتناسب بصورة بديعة مع المعنى المراد تصويره ليكون هذا قمت جديدة من قمر التناسق الفني في القرآن» وهكذا كان التناسب القرآني في جرسه ، وإيقاعه معجزة جرسية ، مثلما كان في بيانه وتشريعه وأدابه.¹⁴

فالفئة نوع من الموسيقى وجهازنا الصوتي أشبه بمجموعة من الآلات الموسيقية تصدر عنها الألفاظ بنغمات مختلفة ودرجات متباينة « وتبعا لمخارج الحروف ، وصفاتها يكون اختلاف الكلمات صوتيا في الوضوح والشدة والسرعة وفي الرنين والإيقاع ، فبعض الكلمات يبدو خافتا ، وبعضها يظهر مجلجلا ، وبعضها خفيف التموجات يجري كالماء ، وبعضها تسمع له ما يشبه الخفيف أو الخير ، وبعضها له نقرات كالدفوف ، أو طرقات كمطرقة الحداد ، وبعضها تحس فيه صلابت ، وبعضها تلمس فيه الرخاوة ، واللين ، وبعضها هواء يسمح بالتموج الصوتي ، والطواعية الموسيقية كحروف المد ، وبعضها له غير ذلك من الصفات التي تجعل للكلمة في النفس أثرا موسيقيا خاصا».¹⁵

ولقد وجد العرب في لغتهم مرونة وطواعية كبيرة فسخرها لإرضاء ميلهم وولعهم بالإيقاع والنغم الصوتي اللذيذ ، ذلك أن العربي بظفرته ميال إلى الإيقاع فالنفس البشرية طروب بطبيعتها وأن جميع انفعالاتها ومطامحها واندفاعاتها إنما تتجلى في تعبير موقع موزون هو بيت شعر موزون أو فقرة مسجوعة متوازنة .

كما أن العرب كانوا أمة أمية تعتمد على السماع في مختلف أغراضها ، أكثر من اعتمادها على القراءة والكتابة ، وكان من آثار ذلك أن أصبحت الأذان العربية دقيقة التمييز بين الأصوات المختلفة شديدة الإحساس برنينها وإيقاعها.¹⁶

ولشدة ولعهم بالإيقاع لم يكتفوا باستعماله في صياغة الشعر بل زينوا به كثير من أصناف كلامهم المنثور ، ويظهر ولع العرب وشغفهم بجمال الإيقاع في كثرة أسجاعهم ، وفي الأزواج ،

والتوازن ، والترصيع في كلامهم ، فلقد « ازدادت العربية بزينة الإيقاع منذ نشأتها نظما ونثرا وما التنوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللُظفيّة ، وما التسجيع والتوازن والازدواج ، والاتباع ، وأنواع البديع اللُظفي ، وقوانين الإعلال والإدغام ، سوى مظاهر أخرى لاهتمام العرب المضطرب بجمال الرنّة وحسن الإيقاع»¹⁷.

ولقد كان أول ما أحسّه العرب من القرآن جرس ألفاظه وإيقاع عباراته ؛ إذ أنه لما قرئ عليهم « رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جملة ألقانا لغويّة رائعة كأنها لإتلافها وتناسبها قطعت واحدة قراعتها هي توقيعها»¹⁸. وقصص تأثرهم بأصواته كثيرة ، فقد روى صاحب السيرة أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ، والأخنس بن شريف خرجوا ليلتة ليستمعوا من رسول الله ﷺ ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل منهم مجلسا يسمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ؛ فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رأيكم سفهاؤكم لأوقعتم في نفوسهم شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلتة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، وتكرر ذلك في الليلتة الثالثة ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.¹⁹

وانّ أوّل ما شدّني لآيات البعث والحشر -حينما أكببت على تلاوتها- جرس ألفاظها المتميز الذي يتناسق بشكل مذهل بديع مع المعنى المراد تصويره ، سواء كان هذا اللفظ مضردا مستقلا أو كان متجاوزا مع ألفاظ أخرى ، فالملاحظ أن القرآن قد اختار ليوم القيامة أسماء ذات دوي ورنين لتتناسب مع جو الهول والرعب الذي يريد أن يرسمه ، فسماء الواقعة ، الحاقّة ، الطامة ، والصاخّة ، القارعة ، وهي أوصاف ذات صدى وترويع تحرك النفوس وتهزها من الأعماق .

فالواقعة بمعناها ويجرس اللفظ ذاته ، بما فيه من مدّ ثم سكون ، ثلّقى في الحسّ كأنها هي ثقل ضخم ينقض من عل ، ثم يستقر لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال.²⁰

هذا الجرس المدوي الذي حملته اللفظة الناتج عن المد قبل القاف ثم السكون في "عه" ليتناسب مناسبة دقيقة مع الصورة المراد رسمها لهول هذا اليوم ، ولتتناسب مع مطلع السورة " إذا وقعت " في إبهام وتخويف " ، ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه كأنما يتوقع له الحسّ أرجحة يحدثها حين يقع ، ويلي السياق هذا التوقع فإذا هي خافضة رافعة . وإذا الأرض ترج رجا ، والجبال تبس بسا فتصير كالهباء المنبث .

ولفظ الحاقّة أيضا له جرس خاص يشبه الجرس الذي قلت أن لفظة الواقعة تتمتع به ، جرس يوحي بهول الحدث فكأنما هناك شيء يُرفع ثم ليُلقى من عل ، ليستقر في مكانه لا يتزحزح ، هذا الإيحاء التصويري ناتج عن مدّة الحاء بالألف ، واستقراره في تشديد القاف التي تليها ، وأخيرا الانتهاء عند التاء المربوطة التي يُوقف عليها بالسكون لتنتقل إلى هاء وهو أصلها ، « ويشعر النطق بضغط ثقيل على الحنجرة ، بحك تلاقى حرف الحاء والقاف ، والفصل بينهما

بالألف الساكن الذي اقتضى تشديدا على حرف القاف ، ويوحي وكأن قوة تجذب شرايين العقل والمخ والدماع لتتصطب على قوة تتصاعد من أسفل بالحاء وكذلك يشعرا التقاء الحاء والقاف ، وتشديد القاف بعد ألف ساكنة بزهرق في الحنجرة ، وبحركة صوت يتسم بالخنق الشديد هذا التتمت قوته من قوة هول يوم الحاقة²¹ .

وجرس هذه اللفظة لم يطلق هكذا منعزلا دون فائدة ، فإن اللفظة بجرسها تتناسق تناسقا عجيبا مع السياق الكامل الذي قد وردت فيه ، والذي ثببتنا به الآيات الواردة بعدها في السورة ذلك أن " الجو كله في هذه الآيات جو تهويل وترويع وتعظيم وتضخيم ، يوقع في الحس شعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضالمة الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى ، والألفاظ بجرسها ومعانيها وباجتماعها في التركيب وبدلالة التركيب كله تشترك في خلق هذا الجو وتصويره ، فهو يبدأ فيلقبها كلمة مفردة لا خبر لها في الظاهر : "الحاقة" ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم "ما الحاقة" ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام بالتجهيل ، وإخراج المسألته عن حدود الإدراك "وما أدراك ما الحاقة" ثم يدعك فلا يجيب هذا السؤال ، يدعك واقفا أمام الأمر المستعظم المستهول الذي لا تدريه ولا يمكن أن تدريه ، يدعك لحظة مضمع الحس بالاستهوال والاستعظام ، هذا الاستهوال وذلك الاستعظام الذي يلقي في الحس ناتج عن ذلك القرع الموسيقي المتولد عن جرس اللفظة وعن الإيقاع الشديد الناشئ عن تكرارها أيضا « وقد تركبت اللفظتان من حروف حلقيّة وهي الحاء والخاء والعين وهي حروف لها أهمية في تركيب السياق وجرس القول ، كما احتوتا على حرف القاف ، وقد اجتمعت القاف والعين في لفظة الواقعة ، والعين والقاف حينما يدخلان النسيج التركيبي للأصوات يكونان أكثر الحروف حسنا لأنهما أطلق الحروف وأضخمهما جرسا»²² .

أما الطامة والصاخة فهولهما أشد ، ووقعهما في النفس أكبر ، وعلى الحس أعنف ذلك أن جرسهما متميز بالقوة والشدة « فالصاخة لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنق جرسها ، وشقه الهواء شقا حتى يصل إلى الأذن صاخا ملحا ، والطامة لفظة ذات دوي وطنين ، تخيل إليك أنها تطمر وتعمر كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه »²³ .

إذن فالجرس المنبعث من هذه الألفاظ المدوية "الواقعة" ، الحاقة ، الطامة ، الصاخة " منشأه تلك الحروف التي انتقت انتقاء خاصا في مناسبة جميلة مع المعنى المراد إلقاءه في الحس والنفس دون أن يتأثر تركيب الكلمة ، أو يفسد المعنى بل تناسق الكل ، الحرف في الكلمة ، والكلمة مع المعنى وأهم من ذلك الجرس مع المعنى بل ومع السياق نفسه ، وهذه سمت قد انفرد بها القرآن الكريم وهي كما رأينا ملحوظة بشكل بيّن في الألفاظ التي ركبت منها آيات البعث والحشر ذلك أن «القرآن يتخيّر حروف الكلمة وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها لذيدة السماع ، طيبة المجرى على اللسان ، معتدلة في تأليفها ، خفيفة في الضم ، نازلة على

أحسن هيئة في الإيقاع ، قوية الإيحاء شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني المرادة ، والأهداف المقصودة من الآية الكريمة ، لذلك نرى في تركيب حروف القرآن تناسقا عجيبا بين الرخو منها والشديد والمجهور والمهموس والممدود والمقطوع ، ونجد أن اجتماعها مع بعضها يؤلف نغما مطربا يظهر أثره في صوت القارئ»²⁴.

فالتنوع الصوتي لحروف اللغة العربية خاصية مهمة من الخصائص الإيقاعية للغة العربية ، وقد تميزت بهذا التنوع لسعة مدرجها الصوتي ، وتوزعها توزيعا عادلا يؤدي إلى التوازن ، والانسجام بين الأصوات .

أضف إلى ذلك أن العرب يراعون في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي ، ولذلك تجنبوا اجتماع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال والجيم مع القاف والطاء والصاد ، وتجنبوا اجتماع حروف الحلق .

فحروف اللغة العربية وأصواتها « واسعة الأفق ، كاملة في مدرجها الصوتي ، حسنة التوزيع للحروف والأصوات في هذا المدرج ، متميزة المخارج والصفات ثابتة الأصوات عبر القرون ، يتوارثها جيل بعد جيل ، متنوعة الوظائف في بنية الكلمة ، لكل نوع من الحروف والأصوات وظيفته في تكوين المعنى ، وتثبيت أصله وقراره وتنويع شكله وألوانه مع تناسق بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة»²⁵.

والصوت الموسيقي في القرآن هو الصيغة السليمة لدقة التلاؤم في تأليف الحروف وحسن تلاؤمها لمخارج نطقها²⁴ ، وقد قسم الرماني تأليف الحروف ثلاثا إلى أوجه : متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا²⁶. والقرآن الكريم يحتل الوجه الثالث ، ويذكر الرماني أن الفائدة في التلاؤم هي «حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يراد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة»²⁷ ، ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة ، تشعر بتناسق عجيب في رصف حروفها في الكلمات ، وفي الكلمات في الآيات ، هذا حرف ينثر ، وذاك يصفر، وهذا يهمس ، وهذا يجهر ، « ومن هنا تتجلى جمال لغة القرآن ، حين خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤلفة ، الجامعة بين اللين والشدة ، والخشونة والرقّة ، والجهر والخفية ، على وجه دقيق محكم ، وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان ، حتى تألف من المجموع قالب مدهش ، وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيها البداوة في غير خشونة ، برقة الحضارة من غير ميوعة ، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة

28 . «

فالواقعة ، والحاقة ، والطامة ، والصاخة ، قد تألفت من حروف متباعدة المخارج ، يلمس لها في السمع حسن وذوق فني ، وهي ليست بالمتوعرة ولا الحوشية ولا بالساقطة العامية ، جرت

على العرف العربي الصحيح ، معدّلة غير كثيرة الحروف ، وبالتالي حازت على شروط الفصاحة للفظّة كما حددها ابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة" ²⁹ .

وإذ ينشأ جرس اللفظة من تناسق حروفها بما فيها من صفات- وهذه سمت إيقاعية كما قلت في اللغة العربية- فإن المقاطع الصوتية أيضا تكون سببا للجرس والإيقاع والمقاطع الصوتية في اللغة العربية مقاطع إيقاعية ، ذلك أن اللغة التي تقوم على مبدأ المقاطع الممدودة ، والمقصورة لغة إيقاعية أكثر من غيرها وذلك كالعربية ، وتخضع المقاطع اللفظية في اللغة العربية إلى مبدأ أساسي يقضي بأن تكون ذات كميات من الوزن والوقت ، ومقسمة إلى صنفين ، مقاطع مقصورة ومقاطع ممدودة ، فأما المقطع المقصور فهو الذي يتألف من متحرك لا يليه ساكن وهو خفيف ، وأما المقطع الممدود فهو الذي يتألف من متحرك وساكن وهو ثقيل ، وهذا المبدأ هو الثابت في اللغة العربية سواء أكان في الشعر ، أم في النثر ، وكل قراءة للقرآن أو للشعر أو للنثر لا يلتزم فيها به قراءة خاطئة ، والقرآن كتاب ناطق باللسان العربي المبين ، وكل مقرئ لا يخضع في قراءته لهذا المبدأ مخطئ متناول على مبادئ اللغة ، ومن هذه الخاصية أتى سحر الكلمة في اللفظة العربية وتأثر العرب بالشعر والخطابة ؛ ومن هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزة محمد ﷺ هي القرآن ، وما ذلك إلا لأن المقاطع اللفظية ذات وزن من الثقل والخفة ، فإذا تناسب الثقل والخفة اندرج فيهما الإيقاع بيسر ، لأنه يجد الظروف الملائمة لانبعاثه فيضفي على العبارة مزيدا من الحسن والسحر ³⁰ .

والألفاظ التي بين أيدينا يظهر فيها هذا التناسق الجميل في توزيع المقاطع بين الثقل والخفة ، فالواقعة تتركب من مقطع طويل (ثقيل) وثلاثة مقاطع قصيرة (خفيفة) ، أما الحاققة والطامة والصاخة فتتركب من مقطع طويل ومن مقطعين قصيرين -

ولنتأمل المقطع الآتي في قوله تعالى : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنّت النعيم ثلث من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقبلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما سلاما ﴾ الواقعة : 10-26 .

" السابقون السابقون " تسبق السين الباء في التصويت ، وتسبق أيضا القاف والنون ، فيعمل هذا التسابق في مخارج الأصوات ، ومنه في الملفوظ ، على بسط ظلالة على مدلولي السبق والوليّة في الرتبة ، والقاف هنا كنها تجسد خلاف ماجسّدته هناك ، فهي في " السابقون " و " المقربون " تعبر عن المكانة الرفيعة ، عن حيز ذي حساية يكمن فيه الصوت المتوعر من الذي يحبس الهواء عنده ، ثم يطلقه حرا بعد عناء ، وتلك الفنّة الموصوفة ، رفيعة المقام ، بعيدته ، فالمقطع الطويل المتكرر " سا " فهم لم يتبؤوا مقام المقربين إلا بعد عمر قضوه في الكد والجد ، والعبادة الحقّة ، وهم في آخر المطاف ينتهون إلى لبين من العيش لا يخطر على قلب بشر

هذا اللين الذي تعكسه النون الناعمة الغناء في عدوية ، نهاية المقطع الخيري في كل من اللفظتين " السابقون " و " المقربون " من ثم كانت والميم صوتين ذوي طابع لحنى ؛ وهو ماتبرزه لفظتا " جنات " و " النعيم " بغنيتيهما المضاعفتين " نأ " و "ئن" وبمقطعيهما الطويلين " نا " و " عيم " .

أما المقطع الخير " عيم " فجمايلته طغت على كل جمال المقاطع في هذه الفقرة ، إذ نراه ينطوي على إيجابية مؤسسها البعد والجلاء ، فالعين صوت مصدره بعيد في حيز المخارج (الحلق) لكنه مع ذلك انصع الأصوات وأظهرها ، كذلك فإن نعيم الجنة بعيد المنال ، غير أنه الآن أضحي حقيقة جلية لأصحابه ، فصار البعيد قريبا ، والخفي ظاهرا .

وفي لفظتا " المقربون " ففيها مقطعان قصيران يتوسطهما مقطع متوسط مقفل : م / قر / ر ، والقريب ليس كامقرب لذا دخلت الميم على اللفظة لتشيع بحضورها جوا من الحميمية والملاسة والحب ، كما أضفت زيادة على المعنى ، بأن هنالك فاعلا مقربا ، فلم يحصل " القرب " عفوا ، أضف إلى ذلك كله أن الميم والقاف والراء وذواتها ، متقاربة المخارج .

أولئك : في المقطع " لا " الطويل ، وفي شدة الهمزة المكررة وصعوبة تأنيها ، إشارة إلى بعد المنزل ، وصعوبة الوصول إلى مرتبة الفنة الممدوحة المعلم باسم إشارة للبعد . تدعهما همزتا " الأولين " و " الآخرين " والمقطعان شديدا الطول : لين ، رين .

" ثلثة من الأولين " تتداخل المقاطع المقفلة والقصيرة ، وتتقارب شديدا : ثل / ل / ن / م / ن ، فهي مقاطع محدودة تدل على العدد المحدود للسابقين المقربين .

وفي دال " الثلثة " إيحاء بقلته فونيماتها وضعف الثاء فيها ، يوازيها عزة طائفة السابقين ، وقلته تعدادهم .

" سرر " تتشاكل المقاطع والحركات في توال ، ثم الطبيعية التكرارية للراء ، فضلا عن مضاعفتها ، إشعارا بمجموع الأسرة المتصافة المعجولة للاستلقاء ، بحيث يتقابل عليها المتسامرون ، ويتبادلون كل ما هو طيب من الكطلام والمشاعر .

كما أن مجيئها في مقطعين قصيرين " س-ر " ، ومقطع متوسط مقفل : رن ، ليلقي بظلاله على مجلس ينعم بالأنفة والنس ، فهناك لقاء وتقارب ، وقبل ذلك تقرب إلى الله زلفى بالعمل الصالح ، فاستجابته بالتقريب من عرشه .

" متكتين " يحدث صوت الثاء عن طريق تواكؤ الأسنان المامية بعضها على بعض ، تساعد ملامسة طرفي اللسان للثة ، وبذلك يرمز إلى صورة المتقابلين وهم في حالة استرخاء على أرائك مبسوطت .

" بأكواب وأباريق " كأن بهذه الباءات المطردة تهدف إلى إيصال صدق قرع الأكواب والأباريق إلى أسمع المتلقين ، فيما يرسم ضم الشفتين عند " واو " الأكواب المستديرة فموضع الشرب منه مستدير فلا عروة له ولا خرطوم .

ومن لفظ " معين " نستوحي صفات التدفق والليونة والجريان ، جريان الميم والعين ، والنون المثسمة بالليونة والامتداد ، كما نستوحي صفاء أنهار الجنة وعدوبتها ، من صفاء العين ونقاوته ، ولعل ما صور امتداد الأنهار وعدم انقطاعها هو الكسرة الطويلة .

" لا يُصدعون عنها ولا ينزفون " يتسبب التلطف بالمدال والزاي في ذبذبة على مستوى الأوتار الصوتية ، يزيد الزاي باهتزاز سطح طرف اللسان أثناء إخراج اهتزازا طفيفا ، وهذا كله يوحى بالاضطراب والتذبذب الناتج عن السكر ، غير أن تدخل اللام المتصف بالجلاء والجهر كان من شأنه نفي المعاييب عن خمر الجنة .

ثم تتوالى الألفاظ " فاكهة - يشتهون " وفيها الهاء ، وهو بعمق مخرجه وبعده إلا أنه يوحى باستفراغ ما في النفس من آه وأحزان لترتاح بعده فالنطق باللفظتين بحرفي الهاء يحيل على الراحة النفسية والمتعة الجسدية .

" حور عين " فصولتها طويلة ؛ ضمت تعقبها واو "حُو" ، ثم حرف العين الذي تعقبه ياء "حي يوحى" باستدارة الأحداق وما فيها من جمال وهيبته ، أضف إلى ذلك إقفال مقطعي لفظة " لؤلؤ " : لؤلؤ ، وبما يحمله من دلالة الصيانة والإخفاء والكنز فهي مخبأة خصيصا لهؤلاء ، واللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المخبوء الذي لم يعرض بعد للأنظار ، ولم تخدم عين ، ولم تتقبه يد ، وفي هذا كناية عن معاني حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور العين .³¹

لتختم الفقرة بسينات متعاقبة مع صوتين آتيين من مخارج دنيا ، الميم من الشفتين و اللام من اللثة : " سلاما سلاما " في تناسق جميل مع ما بدئت به العبارة ، وكأن المراد إشاعة جو الأنس من خلال همسات السين ، وألفت نستشعرها من منبع هذه الأصوات المتقاربة .

وبالنظر إلى إحصاء عدد الحروف في هذه المقطوعة ، فقد وردت اللام تسعا وثلاثين مرة ، والنون سبعا وثلاثين مرة ، والميم خمسا وثلاثين مرة ، فإن ذلك يوحى أن الخطاب القرآني هنا قد أجاد استغلال هذه الصوائت المتصفة بالليونة ليرسم مشهدا حسيا ونفسيا مؤثرا يتناسب والمعنى العام لهذه الفقرة .

وهكذا لو انتقلنا إلى جميع فقرات هذه السورة التي اشتركت في دلالة واحدة لرأينا أن النسق الصوتي الناشئ عن حروفها وحركاتها قد أسهم بشكل كبير في تقوية المعنى وتوضيحه مما كان له عظيم الأثر في المتلقين بما يحدثه الصوت في نفوسهم .

ويعلل الرفاعي سر هذه الموسيقى القرآنية فيقول : « تألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره ، أو أقمح معه حرف آخر ، لكان ذلك خلافا بيّنا أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة ، وفي حسن السمع وذوق اللسان ، وفي انسجام العبارة ، وبراعة المخرج ، وتساند الحروف وإفشاء بعضها إلى بعض ، ولرأيت لذلك هجنته في السمع كالذي تنكره من كل مرثي لم تقع أجزاءه على ترتيبيها ، ولم تتفق على طبقاتها ، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا ، وذهب بعضا منها إلى جهات متناكرة » .³²

وبعيدا عن هذه التعقيدات التي لا يفهمها إلا أهل الاختصاص والتي يحتاج لتوضيحها إلى قواعد موسيقية ، وإلى اصطلاحات لا يتهيا العلم بها لكل قارئ ، أظن أننا لسنا في حاجة لها لندرك القيمة الفنية لجرس الألفاظ القرآنية ، ولندرك الفرق بين الأساليب الإيقاعية ، وأهمية ذلك في رسم الصورة وفي توضيح المعنى وتناسقه مع السياق إذ نحن استعملنا الذوق . فالعرب أحسوا جرس الألفاظ وتأثروا بموسيقى القرآن ولم يكونوا على علم بهذه المصطلحات ، ودراستي هذه من بين أهدافها الوقوف على سر تأثير العرب بالقرآن الكريم اعتمادا أولا على الذوق.

فالملاحظ أن ألفاظ آيات البعث والحشر تميزت بجرس يتناسق تناسقا رائعا مع المعنى فيرتفع أحيانا حتى يحس القارئ له دويا مفرعا يقرع الأذان ، وينقر نقرا وينخفض أحيانا أخرى فلا يكاد يسمع إلا همسا .

يقول تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ أَطَه ۖ : 105 ﴾ ، فلفظة "نسفًا" توحى بجرسها بعنف الفعل وقوته ، فكأنما هي عاصفة هوجاء عاتية قد هبت لتقتلع تلك الجبال الراسيات من جذورها فلا تبقي ولا تذر شيئا منها ، ثم يأتي بعدها قوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ أَطَه ۖ : 106 ﴾ .

وتأمل أيضا لفظة "صفصفا" وجرسها الناشئ من تكرار الحرفين الصاد والفاء بما يوحي بقوة الفعل وشدته ، ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَوْ بَهِرَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ أَطَه ۖ : 108 ﴾ ، وتأمل لفظة "همسا" وما يوحي به جرسها من خنوع وخشوع واذعان للخالق .

والألفاظ ينبعث منها إيقاع هو صدى لهذه النفوس الذليلة ، المتكبرة ، الخاضعة ، أمام القدرة الجبارة لله ﷻ ، والتي تبدت من خلال جرس الألفاظ التي احتواها الجزء الأول من السياق

وعليه يمكن أن نقول « أن الإيقاع الموسيقي يساير دوما الموضوع لا يسبق المعنى ولكنه يخضع للمحتوى ، وصيغة التعبير التي يراعي القرآن فيها استجاباتها من حيث الوقع ، ومدى أثرها في النفس وهنا يحتل الإيقاع الموسيقي مكانه ليتعاون مع العبارة في أداء المحتوى والغرض الديني» .³³

قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ [الفجر : 21] .

إن النفس لتتهتز وتخرس أمام هذا الجرس المدوي المشبع بروح الهول ، والقوة ، والذي تنطق به لفظة "دكا" ، وفي تكرار اللفظة مرتين إيقاع جميل حتى أن النفس ترددها تلقائيا دون الشعور بفاصل بينهما ، بل إن الإيقاع ليختل إذا ما حذفنا اللفظة المكررة ، هذا الجرس المدوي

يتناسق مع المعنى المراد تصويره وهو دك الأرض وتحطيم معالمها وتسويتها فإذا هي غير الأرض التي ألقها الإنسان من قبل .

يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : 27] ، فجرس اللظظة "يعض" يوحي بشدة الفعل وبقوة المسك كما يوحي بشدة الحسرة والندم التي يكون عليها الظالم إذ يصرخ في ندم وحسرة : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : 27-28] .

وقد ينشرد حرف واحد بجمالية إيقاعية مصورة مؤثرة كالتاء في قوله تعالى ﴿ إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ﴾ [الواقعة : 1 - 3] . ويكون بأن " يقف الهواء وقوفا تاما حال النطق بالتاء عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وقدم اللثة ، ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء ، فيحدث صوت انفجاري ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق بالتاء ، فالتاء إذن صوت أسناني لثوي وقمة انفجارية مهموسة .³⁴

إن حضور صوت التاء في هذه الآيات بصفته ومخرجه يشير إلى معنى الانفجار المسموع في هذه الآيات الكريمة التي تؤكد وقوع يوم القيامة لا محالة . " إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) ، وهي خافضة رافعة ، ترفع أقواما وتضع آخرين : أما لها بالشدة لأن الوقائع العظام كذلك : يرتفع فيها أناس إلى مراتب وتضع أناسا ، وأما لأن الأشقياء يحطون إلى الدرک ، والسعداء يرفعون إلى الدرجات ، وأما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها ، فنخفض بعضا وترفع بعضا : حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكوكب وتتكدر وتسير الجبال فتمر في الجور السحاب .³⁵

فصوت التاء يوحي بوقوع هذا اليوم ، وتساقط السماء ، وتنتثر الكواكب ، وهي صورة مرعبة تشير إلى هول هذا اليوم وفضاعته ، فهذه الصورة لا بد أن يلازمها فعل الشدة والغلظة والقوة وهي نعوت مناسبة لصوت التاء عند خروجه .

ومن الأصوات الانفجارية البارزة صوت الباء ، وهو « صوت مجهور يتكون بأن يمر الهواء أولا بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الضرع حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقا كاملا ، فإذا انضجرت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء ، فالنطق بالباء تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندهما ، ثم تنفرجان فجأة فيسمع صوت الباء »³⁶ .

وقد يهمس صوت الباء العربي في بعض مواقفه كالباء نحو كتاب (بسكون الباء) ، وفي هذه الحالة يصحب الإهماس حرمان الصوت من الانفجار الكامل ولعل هذه من أحد الأسباب التي من أجلها نص العرب على وجوب تحريك الباء بصوت أي قلقلته ، إذا كانت ساكنة ، حتى يتحقق

الانفجار والجهر التام ، وكذلك تدغم الباء الساكنة في وصل الكلام بالميم التالية لها في النطق الصحيح وتصير مثلها ، وبخاصة في قراءة القرآن الكريم كما في (اركب معنا) .³⁷ برز صوت الباء واضحا في قوله تعالى : ﴿ ويسد الجبال بسا فكانت هباء منبثا ﴾ الواقعة : 5-6 ، إن حضور صوت الباء في هاتين الآيتين بصفته ومخرجه حضورا مناسباً لسياق الكلام ، إذ دل على عظمة الخالق في تفتت هذه الجبال ونسفها ، وجعلها كالهباء المنبث ، كما أن حضور صوت الباء كان مناسباً في وصف ما يعرف بهذا العلم الأرضي عند ساعة القيامة ، وبذلك تكون هذه العينات من الأصوات الانفجارية الواردة في سورة الواقعة قد أسهمت إسهاماً فعالاً في عرض أغراض السورة وآياتها .

كما أن لحركات الحروف دوراً مهماً في تكوين جرسها ، فتوالي الضميتين الثقيلتين والتقاطها بالشدّة على الضاد أسهم في إعطاء اللفظة ذلك الجرس العنيف القوي ، « ولو تدبرت ألقاظ القرآن الكريم في نظمها ، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الضاححة فيهيء لبعضها البعض ، ويساند بعضها ، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف ، متساوقة لها في النظم الموسيقي ، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها بسبب من أسباب الثقل أياً كان ، فلا تعذب ولا تستساع وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة ، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا ، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان ، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء ، وأرقه ، وجاءت متمكنة في موضعها ، وكانت لهذا الموضوع أولى الحركات بالخفة والروعة » .³⁸

وإذا كان توالي الضم يوحى بالشدّة والقوة فإن توالي الحركات يوحى بالخفة والسرعة من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَاهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 7-8] ، وقوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، فقد توالت الحركات في اللفظتين (فُضِعَ ، فَصَعِقَ) ، مما أكسبهما جرساً سريعاً ليتناسق مع المعنى المراد ؛ إذ تُصور اللفظتان سرعة التأثير الناتج عن النفخ ، فالأولى فزع وهول والأخرى صعق وذهول»³⁹ .

وإذ ينشأ الجرس من صوت الألقاظ يمكن أن ينشأ أيضاً من الصوت والحركة ، كما ذهب إلى ذلك ابن سيدة حينما عرف الجرس بقوله : « الجرس الصوت والحركة من كل ذي صوت » ، وقد سجلت قوله هذا في بداية هذا المبحث لما تعرضت للمعنى اللغوي لكلمة جرس ، ويحدث هذا حينما يتعاقب الصوت الناشئ من الألقاظ المنتظمة داخل العبارة مع الحركة الحسية التي تسري بداخلها » . والجرس ينبع من التقاء الصبغة الفنية بمفرداتها الحية ، مع الوقع النفسي الذي ينعكس فيه صوت الطبيعة بجرسه وحركته وإذا كان الجرس والحركة من سمات

الطبيعية : فلا بد أن يسود داخل الطبيعة إيقاع ينسجم ووحدة الكون ، والكائن الحي هو جزء من هذا الصدى لهذه النضس بانفعالاتها ومشاعرها وحوادثها ، ولا بد أن يحمل هذا الصدى نغمة الحياة وربنتها وإيقاعها الموسيقي ، وعبارات القرآن تجسم في شكلها القائم على الحركة والجرس صورة الحياة ، وبهذه الحركة والجرس ينبعث الإيقاع الموسيقي داخل العبارة القرآنية⁴⁰ .

وكمثال على ذلك نأخذ سورة القارعة ، يقول تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ، فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه ، نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة : 1-11] .

فقد صدرت السورة بلفظة "القارعة" وهي اسم من أسماء يوم القيامة واللفظة تحمل جرسا قويا مدويا ذا ضربات حادة تقرع القلوب والأذان» وفي هذه التسمية ما يلقي صورة القرع والطمع على حين غفلة⁴¹ .

جاء في لسان العرب : قرع الشيء يقرعه قرعاً : ضربه ، والقارعة من شدائد الدهر وهي الداهية ، ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم ، ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة ، ويقال : قرعتمه قوارع الدهر ، أي أصابتمه ، ونعوذ بالله من قوارع فلان ، ولوأدعه ، وقوارص لسانه⁴² .

هذا المفهوم اللغوي للفظ القارعة يزداد هولوه وقوته من الصيغة الفنية للتعبير ، فلقد كرر لفظ القارعة ثلاث مرات في صور مختلفة: القارعة ، ما القارعة ؟ ، وما أدراك ما القارعة ؟ يقول سيد قطب معلقا على هذا المطلع : « لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة ، القارعة ، بلا خبر ولا صفة ، لتلقي بظلمها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب ! ثم أعقبها سؤال التهويل ، ما القارعة ؟ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل ، ثم أجاب بسؤال التهويل : وما أدراك ما القارعة ؟ فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك وأن يلزم بها التصور ثم الإجابة بما يكون فيها لا بماهيتها ، فماهيتها فوق الإدراك والتصور⁴³ .

فاجتماع جرس اللفظة المدوي مع الصور المتحركة المهولت التي تأتي بعده يحدث إيقاعا يقتحم النضس والحس ويريك المخيلة وهي تحاول أن تجد شكلا للصور المتطيرة المتناثرة أمامها ، فالجرس الناشئ من لفظة القارعة تعزز بقوة الحركة التي تسود العبارة التالية لها ، والتي كانت إجابة لذلك التساؤل الذي بدت به السورة بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة : 4-5] ، « هذا هو المشهد الأول للقارعة ، مشهد تطير له القلوب شعاعا ، وترجف منه الأوصال ارتجاجا ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء⁴⁴ .

وقد شبه حال الناس في هذه الآيات بالفراش المبعوث ووجه الشبه الكثرة والانتشار على أرض المحشر وهو مشهد مألوف معروف ، وشبه الجبال بالعن " وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتشرق أجزائها"³⁸. والتشبيه في الحالتين يتناسق مع جرس اللفظة (القارعة) الذي يوحي بالقوة والعنف ، فمن هول يوم القارعة أن يخضع الناس، ويحشروا مذعنين وأن تدك الجبال وتصبح رغر ضخامتها ، وقوتها كأنها صوف منفوش .

ويستمر الجرس في باقي الصورة ليتناسب مع الجرس الأول المعلن في بدايتها بقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَلَمَتْ مَوَازِينَهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ، نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة : 6-11] ، فتعرض حال من حفت موازينه بقوله "فأمة هاوية" وما أدراك ما هية نار حامية" والتعبير فيها يتناسق مع جرس اللفظة "القارعة" فقد قال " أمه هاوية" ، وفي تفسير هذه الآيات أورد ابن كثير ما نصه : « قيل معناه فهو ساقط هاو بأمر رأسه في نار جهنم وعبر عنه بأمه يعني دماغه روي هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح وقتادة... ، وقيل معناه (فأمة) التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها »⁴⁵.

هذه صورة حال الذي حفت موازينه ، فهو هاو برأسه في قعر جهنم ، ولللفظة جرس مهول وكأننا نسمع ارتطام رأسه ، وقرعه في قعرها ليتناسب كما قلت مع صوت القرع ، واللطم والضرب النابع من اللفظة الأولى (القارعة) والفرع المصور بتفتيشه عن مأوى يأويه إذا أخذ المفهوم الثاني يتناسق مع الجرس أيضا فكان شدة القرع ، والضرب أفرعاه ليختفي من ذلك في أي مأوى ولو كان جهنم ، فالصورة مهولت مرعبة « فالنطق بالقارعة يشعر بالضغط على اللسان مرتين في الحنجرة حيث القاف والعين ، وتكرار القارعة ثلاث مرات يضاعف الضغط ويصل به إلى ثمان ، ويشير إلى انحباس النفس في هول يوم القارعة وكأن الروح في حال احتضار ، وقد بلغت الحناجر فالقاف ينضغط على اللسان بالحنجرة ثم تخفف بالراء ، ثم تعاد إلى عمق الحنجرة بالانضغاط ، وكذلك شأن الإيقاع في خاتمة السورة "فأمة هاوية" ، وما أدراك ما هية نار حامية" فالغنة في "يه" في الكلمات الثلاث ، والانضغاط على الحنجرة مرتين في "هاوية" بالهاء والتاء المربوطة الموقوف على سكونها ، والمسمأة عند النحاة بهاء السكت ، إذ أصل العبارة " ما أدراك ما هي" وفي "حاميت" بالحاء والتاء المربوطة والموقوف على سكونها"⁴⁶ ، فالجرس يتناسق ابتداء من مطلع السورة وانتهاء بخاتمتها ، وكأن هذا الالتقاء في التناسق الإيقاعي يوحي بنتيجة الهول الذي بدأت به السورة ، وقد اجتمع صوت الألفاظ وإيقاعها مع الحياة التي تنبض بها عبارات السورة ليشكلا جرسا هو جو الموضوع .

كما أن لصيغة اللفظة دور في إنشاء جرسها المتناسق مع التركيب من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس : 49] ، فقد استعمل في هذه الآيات لفظة "يَخِصِّمُونَ" بينما نجده قد استعمل اللفظة نفسها بصيغة "يختصمون" في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْتُلُ مَرِيماً وَمَا

كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» [آل عمران : 44] ، يقول ابن كثير في تفسير "يختصمون" : « أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عنهم معاينةً عمّا جرى ؛ بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر، وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها » .⁴⁷

ويقول أبو السعود في "يختصمون" « أي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها »⁴² ، لذلك جاءت "يختصمون" في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْتُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران : 44] ، للدلالة على التنازع والاختلاف ، وجاءت "يختصمون" في قوله تعالى : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس : 49] ، للدلالة على مدهامته الصيحة لهم وهم في حالة انفعال واضطراب شديدين ، والجرس الناشئ من كلا الصيغتين يتناسب مع المعنى والسياق ، فقد فصل في الأولى بين الخاء والصاد بالتاء أما في الثانية فقد ازداد الجرس عنفاً وشدة بنزع التاء فاجتمع بذلك الخاء وهو حرف حلقي ومن صفاته الاستعلاء بالصاد وهو حرف أسلي ومن صفاته الصغبر والاستعلاء أيضاً ليضاف إليهما الشدة على الصاد ، « ولا شك أن الاختلاف الصوتي الإيقاعي بين الصيغتين أوجد تفسيراً لغوياً نفسياً دقيقاً للآيتين الكریمتين ، وفي هذا تأكيد أن « الأصوات بتناغمها تعطي قيماً تعبيرية دلالية متنوعة» .⁴⁸

وإذ يستقل لفظ واحد بجرسه ، وقوة تصويره بتشخيص الصورة ، وإظهار جمالية التعبير القرآني ؛ فإن روعة التعبير قد تظهر أكثر حينما تنتظم الألفاظ في العبارة الواحدة ليتناغم جرسها ويتناسق بشكل عجيب حتى تبدو وكأنها قطعة موسيقية يمارس فيها القارئ دور العازف ؛ إذ تتمثل أمامه حروف الألفاظ كمضارب الآلة الموسيقية فيصدر عنها جرس موسيقي يتناسب والجو المراد تصويره ؛ هذا الأمر يظهر بشكل جلي في آيات البعث والحشر ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزُبُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرْوَةُ الْقَيُّومَةُ﴾ [القمان : 33] .

فلاحظ العبارة : < لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده > كيف انتظمت ألفاظها ، وتناغم جرس كل لفظ مع اللفظة التي تجاورها ، ليصدر عن العبارة جرس موسيقي رائع ناشئ عن تكرار الألفاظ " يجزي- لا يجزي "و" ولده- مولوده "و" والد- والده " ؟ فلو جربنا وحذفنا لفظاً أو عوضناها بمرادف لها لانهد نظام العبارة ، وذهب ماؤها وروبقها ، ولثقل جرسها فمجتة الأذان ، ولما استساغته الأذواق ، وتكرار الحروف والألفاظ كما نراه طبيعي خال من التكلف ، ولو كان غير ذلك لأحسنا به ونحن نقرأ العبارة ، وهو يساير مقتضيات التعبير الفني الذي يستلزمه الغرض والسياق ، يقول الزمخشري عن السر في التعبير ب (مولود) في هذه العبارة : « والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وغالببيتهم قبض أبائهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسره أطماعهم ، وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آبائهم في الآخرة ، وأن يشفعوا لهم ، وأن يغفوا عنهم . من الله شيئاً لذلك جيء به على الطريق الأكيد ،

ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع لأب الأذى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته ، فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده ، لأن الولد يقع على الوالد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك»⁴⁹.

هذا الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي يعتبر مظهرا من مظاهر الإعجاز في الجملة القرآنيّة كما ذهب إلى ذلك البوطي بقوله « لا بد أن تجد الجملة القرآنيّة مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات ، يستريح لتألفها السمع ، والصوت ، والنطق ، ويتكون من اجتماعها الشكل الذي رتبت عليه ، نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع ، ما كان ليتم لو نقصت الجملة كلمة أو حرفا أو اختلف ترتيبها ما بينها بشكل من الأشكال»⁵⁰.

ثم تأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها ، ثم دقق نظرك وتأمل تألف الحروف المجهورة مع الرخوة ، مع الشديدة ، وتأمل المدود واجتماعها مع بعضها ؛ فإنك إذا تأملت في ذلك علمت أن هذه الجملة القرآنيّة إنما صبّت من الكلمات ، والحروف ، والحركات في مقدار وأن ذلك إنما قدر تقديرا بعلم اللطيف العزيز الخبير مما لا تقوى طاقة البشر عليه فلا تناله مقاييسهم ولا تضبطه قوالبه مهما اجتهدوا .

وفي الآيتين الموليتين تناسق فني رائع بين جرس الألفاظ في العبارة الواحدة ، وبين الجو العام للسياق وذلك عندما يصور القرآن مشهدا مهما من مشاهد يوم القيامة عند الحشر ، وانتشار الصحف ، فمنهم من ينال كتابه بيمينه فيقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُورَ اقْرَعُوا كِتَابِيهِ ، إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾[الحاقة : 19-20] ، ومنهم من ينال كتابه بشماله فيقول : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ، لَمْ أُدرَ مَا حسابيه﴾[الحاقة : 25-26] ، فالآيتان تنقلان صورتين مختلفتين الأولى تنقل صورة شخص فرح مسرور وتصور ما هو عليه من سعادة ورضى ، والأخرى تنقل صورة شخص نادم مكروب ، وتصور ما هو عليه من تعاسة وخيبة ، والقارئ وهو يقرأ هاتين الآيتين يشعر من خلال جرس أفاضلهما بذلك كله ، بل إنه ليحاول بنفسه أن يرسم هو بصوته عند قراءته لهما هذا الجو المحيط بهما ، « وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت ، بما يخرج فيه مدا أو غنّة ، أو ليئا أو شدّة ، وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ، ثم هو يحمل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع ، والإطناب والبسط ، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتضاع والاهتزاز ، وبعد المدى ونحوها ، مما هو بلاغته الصوت في لغة الموسيقى»⁵¹.

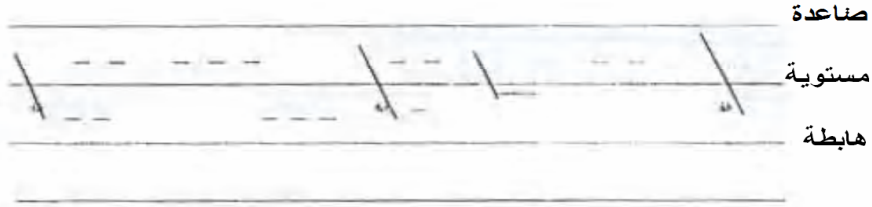
وحتى تكون الصورة أوضح يحسن بي أنقل هذا التحليل المخبري لجرس هاتين الآيتين الذي قام به سمير العزاوي⁵² عن طريق جهاز رسم النغمات visi piteh ، وهو جهاز مكون من لوحة أزرار حاسوبية ، وشاشة ، ومكرفون ، وجهاز تسجيل وعند النطق بالجملة تضغط أحد الأزرار فيقوم بتسجيل صورة على الشاشة فيها حزم من النقاط تمثل مواضع ارتكاز النبر ، وتحليل التنغيم)

الجرس) ، يقوم على الأخذ بالاعتبار النبر الصرفي الذي نجده في أكثر الكلمات ارتفاعا أو انخفاضا ومن ثم يتم تحليل النبر السياقي ليظهر من خلال مسألتين :

1- الشدة أو العلو في الصوت . 2- التنوع التغميمي صعودا وهبوطا .

انظر الشكلين :

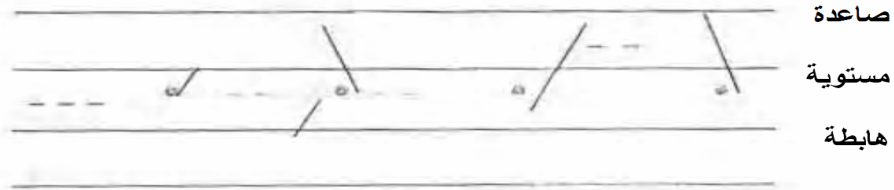
الشكل رقم 1:



(إظهار الضح العميق) تحليل تنغمي للآية الكريمة: [هاؤم اقرعوا كتابيه ،أني ظننت
أني ملأق حسابيه]

نلاحظ مشاعر الرجل الذي أوتي كتابه بيمينه تهيج نتيجة لتلك السعادة الغامرة التي
عمته ، وقد ارتسم ذلك من خلال تلك التموجات الصاعدة بجرس الألفاظ.

الشكل رقم 2:



(إظهار الحزن العميق)

تحليل تنغمي للآية الكريمة: [يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه]
الرجل الذي أوتي كتابه بشماله وهو يشعر بالأسف والحزن العميق تتراءى حاله نادما على
ما مضى من حياته ، وجو الحزن ظاهر من خلال ذلك السكون والهدوء في جرس الألفاظ
والقارئ يشعر بذلك التأوه والتوجع النابع من جرس الألفاظ .

وعليه يمكن لنا أن نقول أن القرآن قد بلغ في تصرفه الصوتي ، وفي أدائه الموسيقي حد
الإعجاز وإنما حاز على هذا «من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز ، من الصوت في
الحرف ، إلى الحرف في الكلمة ، إلى الكلمة في الجملة ، حتى يكون الأمر مقدرًا على
تركيب الحواس النفسية في الإنسان تقديرا يطابق وضعها وقواها وتصرفها ، وذلك إيجاد خلقي
لا قبل للناس به ولم يتهياً إلا في هذه العربية عن طريق المعجزة التي لا تكون معجزة حتى
تخرق العادة ، وتضوت المألوف ، وتعجز الطوق ، وإنما امتنع أن يكون في مقدور الخلق ، لأنه
تفصيل الحروف على النحو الذي يأخذه فيه تركيب الحياة ، من تناسب الأجزاء في الدقيق
والجليل ، وقيام بعضها ببعض لا يغني منها شيء عن شيء ، في أصل التركيب وحكمته ولا يرد
غيرها مردها ولا يأتلف اثتلافها ولا يجرى فيها ، إلى نحو ذلك مما أجرى الله عليه نشأ الخلق
وبعث الحياة ، ثم اشتمالها على سر التركيب المكنون الذي جعل البلاء منها بمنزلة الأطباء

في سعة العلم بتركيب الأجسام الحية من الخليّة فما فوقها ، دون العلم بالوجه الذي يمكن به التركيب ، على أنهم لا يفوتهم شيء من دقائقه ولا يعزب عنهم مثقال ذرة من مادته ، وهي بعد مبذولة لهم يقبلونها ويستوضحونها ويزدادون بها على الدهر خيره ، ثم ينصرفون عنها وهم في العلم غير من كانوا وهي لا تزال عندهم على ما كانت ()⁵³.
الهوامش :

- 1 - لسان العرب ، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، د ط ، دار لسان العرب ، بيروت ، 3ر ، مادة (ن س ق) ، ص 715 .
- 2 - النقد الأدبي ، سيد قطب ، ص 36 .
- 3- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص 88 .
- 4- النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرماني ، ص 24 وما بعدها .
- 5- التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أحمد أبو زيد ، د ط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الرباط ، د ت ، ص 43 .
- 6- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص 84-85 .
- 7- المرجع نفسه ، سيد قطب ، ص 77 وما بعدها .
- 8- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، ص 162-163 .
- 9- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص 118 .
- 10- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، 1955 ، ص 361 .
- 11- إعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 152 .
- 12- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ج رس) ، 1ر ، ص 501 .
- 13- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص 90 .
- 14- الظاهرة الجمالية في القرآن ، نذير حمدان ، ص 194 .
- 15- التناسب البياني ، أحمد أبو زيد ، ص 215 .
- 16- المرجع نفسه ، أحمد أبو زيد ، ص 218 .
- 17- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1952 ، ص 132 .
- 18- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 152 .
- 19- السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ط 2 ، مصطفى البابي الحلبي ، 1375 هـ 1955م ، ص 315 .
- 20- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 6ر ، ص 3462 .
- 21- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، ص 250 .
- 22- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سمير إبراهيم وحيد العزاوي ، ط 1 ، دار الضياء ، عمان ، الأردن ، 1421هـ 2000م ، ص 93 .
- 22- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، ص 79 .
- 23- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن الكريم ، عبد الفتاح لاشين ، ص 38 .

- 24- خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتركيب ، محمد ، محمد المبارك ، د ط ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1964 ، ص 25 .
- 25- الإعجاز الفني في القرآن الكريم ، عمر السلامي ، ص 226 .
- 26- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، الرماني ، ص 87 .
- 27- المرجع نفسه ، الرماني ، ص 88 .
- 28- التعبير الفني في القرآن الكريم ، بكري شيخ أمين ، ص 191 .
- 29- سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، تصحيح وتعليق عبد المتعال الصعدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، 1372 هـ ، 1953 م ، ص 66 وما بعدها .
- 30- نظرية إيقاع الشعر العربي ، محمد العياشي ، د ط ، مطبعة المصرية ، تونس ، 1976 م ، ص 146 .
- 31- مشاهد القيامة ، سيد قطب ، ص 110 .
- 32- إعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 154 .
- 33- الإعجاز الفني في القرآن الكريم ، عمر السلامي ، ص 252 .
- 34- علم الأصوات ، بشر كمال ، ص 249 .
- 35- الكشاف ، الزمخشري ، ج 4 ، ص 245 .
- 36- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، د ط ، دار النهضة العربية ، 1961 ، ص 46 .
- 37- علم الأصوات ، بشر كمال ، د ط ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 248 .
- 38- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 160 .
- 39- جمالية المضردة القرآنية ، أحمد ياسوف ، ص 225 .
- 40- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، ص 247 .
- 34- مشاهد القيامة ، سيد قطب ، ص 66 .
- 41- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ق ر ع) ، ج 3 ، ص 65 .
- 36- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج 6 ، ص 3960 .
- 42- المرجع نفسه ، سيد قطب ، ص 3961 .
- 43- الكشاف ، الزمخشري ، ج 4 ، ص 230 .
- 44- تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ج 4 ، ص 547 .
- 45- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، ص 249 .
- 46- تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ج 1 ، ص 356 .
- 47- تفسير أبي السعود ، أبي السعود ، ج 7 ، ص 171 .
- 48- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سمير العزاوي ، ص 105 .
- 49- الكشاف ، الزمخشري ، ج 3 ، ص 217 .
- 50- من روائع القرآن ، البوطي ، ص 144 .
- 51- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 163 .
- 52- التنعيم اللغوي في القرآن ، سمير العزاوي ، ص 172 .
- 53- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 168 .

